# مقاصد القرآن في فكر النورسي

## دراسة تحليلية

د. زياد خليل محمد الدغامين

عميد كلية الدراسات الفقهية والقانونية

جامعة آل البيت

# مقاصد القرآن في فكر النورسي (١)

## دراسة تحليلية

### تمهيد

لا يسع المتفهم للقرآن الكريم أو المفسر له أن يغفل عن دراسة مقاصده أو الوقوف على أسرار خطابه وغايات آياته في الإنسان والكون والحياة ، فهذا مما تتطلبه الدراسة المنهجية في التعامل معه قراءة وفهماً وتفسيراً ، وقد وُصف القرآن الكريم بانه قد أحكمت آياته، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأنه أعجز الإنس والجنّ أن يأتوا بمثله ، هذه الأوصاف وغيرها توجب قطعاً أن يقف المسلم على أسرار هذا الكتاب بمعرفة ما أراد أن يؤصله من مقاصد وحكم وغايات ؛ لتتحقق في حياة الإنسان بفعل الإنسان نفسه ، وليقيم تلك الحياة على أسسها ، وفي هذا تحقيق للعبودية لله في الحياة وبتحقيقها يحظى الإنسان بسعادة الدنيا، وسعادة الأخرى.

---

(١) بديع الزمان سعيد ميرزا النورسي ، أحد علماء تركيا المعاصرين ، عاش في الفترة ما بين (١٨٧٣م - ١٩٦٠) ، شهد الحرب العالمير الأولى ، واشترك فيها ضد الروس ، ثم أسر مدة سنتين وتمكن من الهرب والعودة إلى تركيا ، أطلق على نفسه في المرحلة الأولى من حياته لقب سعيد القديم ، وهي مرحلة اشتغل فيها بالعمل السياسي خدمة لهذا الدين . أما المرحلة الثانية ، أي ما بعد سنة ١٩٢٦م فهي تمثل سعيد الجديد، وهي مرحلة ترك فيها العمل السياسي، واشتغل بإنقاذ إيمان العوام من الخطر الداهم للإستعمار الغربي الجديد، وذلك عن طريق التربية والتعليم ألف رسائل النور البالغة نحو مائة وثلاثين رسالة ، عدها تفسيراً للقرآن الكريم وقد تمكن من تشكيل فئة منظِمة من تلاميذه تعرف باسم جماعة النور . انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية(١٩٩٨) سوزلر للنشر، اسطنبول، ص٣٥-٤٧٦.

كذلك ، فإن الغفلة عن اكتشاف مقاصد القرآن أو عدم الوقوف عليها يعمل على اضطراب سلم الأولويات ، واختلاط الموازين والمعايير لدى اتجاهات الفكر الإسلامي، مما يعني أن الوقوف على مقاصده يؤدي إلى ردم الهوّة ، وغلق الفجوة بين دعاة الفكر الإسلامي ؛ فتتوحد الأولويات بظهور المقاصد الكلية للقرآن الكريم ، وتصبح معياراً دقيقاً وميزاناً مستقيماً لكل من أراد أن يحقق هداية القرآن في واقع المجتمعات الإسلامية خصوصاً، والمجتمعات العالمية عموماً، وعلى قدر اقتراب أولئك الدعاة من هذه المقاصد كان لزاماً أن يؤدي ذلك إلى القربى من الله تعالى وكتابه، بخلاف أولئك الذين اتخذوا هذا القرآن مهجوراً.

إن البحث في المقاصد يدفع إلى إيجاد عقلية منهجية حصيفة تضبط فكر المسلم وفعله وسلوكه وأخلاقه، فلا عبثية في الخلق في مفهومه وتصوره ، وكل سبب صادر عن مسبب ، وكل أمر له علة وغاية، إن هذه العقلية تقف على تصور علمي يقيني راسخ ، وهو أن الله سبحانه خالق الكون ، وأن الإنسان خليفة في هذه الأرض بالشرعة والمنهاج اللذين بعث بهما سيد ولد آم وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم- ليرسم بهما الحياة المثلى للإنسان في هذا الوجود ، إنه تصور يستند إليه «الإنسان الخليفة» آمناً مطمئناً.

لقد وجّه العلماء بالغ اهتمامهم إلى بيان مقاصد الشريعة الخمسة ، الضابطة لسلوك الفرد المسلم ، والضامنة له سبيل الاستقرار والأمان في هذه الحياة ، وتم الحديث عن مقاصد القرآن في سياق الدراسات الأصولية والفقهية، وذهب القول بمقاصد الشريعة وطغى على أي مقاصد أخرى؛ فالجويني والغزالي والرازي والآمدي وعز الدين ابن عبدالسلام والشاطبي، ومن المحدثين محمد الطاهر بن عاشور . . قد بذلوا جهوداً مميزة، ومنحوا موضوع مقاصد الشريعة - المتمثلة في الضروريات والحاجيات والتحسينيات - عناية فائقة، وجعلوا الضروريات في حفظ النفس والعقل والدين والنسل والمال، وتكاد كلمة العلماء تقتصر على إبراز تلك المقاصد

وبيانها على أساس أنها نفسها مقاصد القرآن ، فهذا سلطان العملاء الإمام أبو محمد عز الدين بن عبدالسلام(ت٦٦٠هـ) يقرر أن معظم مقاصد القرآن تتمثل في «الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها(١)».

«لقد توجّه البحث إلى مقاصد الإسلام من التشريع في قوانين المعاملات والآداب الجديرة بأن تخصّ باسم الشريعة، والتي هي مظهر ما راعاه الإسلام من تعاريف المصالح والمفاسد وتراجيحها مما هو مظهر عظمة الشريعة الإسلامي بين بقية الشرائع والقوانين والسياسات الاجتماعية لحفظ نظام العالم، وإصلاح المجتمع» كما يقول ابن عاشور(٢). ويظهر مما ذكره العلماء أن مقاصد الشريعة تتعلق بمقصد التشريع الذي يضبط حركة الفرد المكلف وسلوكه، وهذا واحد من مقاصد القرآن الكريم الذي تضمن أموراً أخرى غير التشريع ، وبعبارة أخرى : إن مقاصد الشريعة تعدّ مفصلة لشيء من مقاصد القرآن الكريم.

إن مقاصد القرآن أعمّ، ومقاصد الشريعة أخصّ؛ لأن مقاصد الشريعة متعلقة بالفرد الواحد، ودائرة في نطاقه باعتبار فردية التّبعة، ومسؤولية التكليف ، ولكن الحديث عن مقاصد القرآن باعتبار: الإنسان الخليفة، والإنسان الجماعة ، والإنسان الأمة، والإنسان الدولة ، لم يتم بيانه في نطاق واسع. أقول إن البحث في مقاصد الشريعة بدا واضحاً في حديث كثير من العلماء ، وهذا منسجم تماماً مع التضخم الهائل الذي حدث في تراثنا الفقهي، وخاصة فقه العبادات ، وقد يعزى السبب في تضخم هذا الفقه إلى الانفصال الذي وقع بين القرآن والسلطان، أو القيادة السياسية والقيادة الفكرية ، وسار كل في طريقه، وترتب عليه أن ترك العلماء

---

(١) أبو محمد عز الدين بن عبدالسلام : قواعد الأحكام في مصالح الأنام(١٩٩٠)، مؤسسة الريّان، بيروت(١/ ٩)

(٢) محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية (بلا تاريخ) الدار التونسية للنشر، تونس ص:٩.

الذين يمثلون القيادة الفكرية الحديث عن دنيا الحكام وتنظيمها وسنن الله في الكون ، واشتغلوا بفقه العبادات على حساب فقه الحياة والواقع والكون الذي تتجلى فيه المقاصد القرآنية، ولما كان ذلك كذلك ، توجّه الحديث إلى مقاصد التشريع لضبط حركة الفرد المكلف . في حين أن مقاصد القرآن الكريم التي يجب على المفسر إدراكها قبل البدء بتفسير القرآن ظلت مستبطنة شعور علمائنا ، ولم تنعكس على عملهم التفسيري وتفكيرهم المقاصدي، ولم تحظ بتلك الأهمية مع أنها ذات خطر أعظم، وأثر أعمق.

لقد تناول العلماء الحديث عن «حفظ العقل» وهو واحد من مقاصد الشريعة، فتحدّث الشاطبي -مثلاً- «عن حفظ العقل وأنه يتناول ما لا يفسده ، وهو في القرآن ، ومكمّله شرعية الحدّ أو الزجر، وأن ليس له في القرآن أصل على الخصوص، فلم يكن له في السنّة حكم على الخصوص أيضاً ، فبقي الحكم فيه إلى اجتهاد الأمّة، وإن ألحق بالضروريات»⁽¹⁾ ، « أو حفظه من أن يدخل عليه خلل؛ لأن اختلال العقول يؤدي إلى عدم انضباط تصرّف أصحابها، مثل : منع شخص من السكر، ومنع الأمّة من تفشي السكر والمفسدات بين أفرادها⁽²⁾. أقول: لقد تحدث العلماء عن السّكر المادي الذي يقتصر أثره على فرد، ولم يتحدثوا عن سكر أعظم وأهم وأخطر، وهو السكر الفكري الذي أصيب به العقل المسلم، فانشغل عن قضايا الأمة، وغاب عن واقعها بما أثاره من معارك جدلية تجلت في إقامته مذاهب كلامية وفلسفية وباطنية وعقائد اجتهادية خارج النص القرآني ، ثم الدخول إلى النص القرآن لتأييدها عن طريق العبث بنصوصه، وبما أثاره أيضاً من معارك نحوية، وبما حشده من كم هائل من الروايات الأثرية التي شوشّت على النص القرآني جماله

---

(١) أبوإسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي: الموافقات ، تعليق عبدالله دراز(بلا تاريخ) ، دار المعرفة ، بيروت، ج٤، ص٢٩.

(٢) إسماعيل الحسني: نظرية المقاصد عند ابن عاشور(١٩٩٥)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة، ص ٢٣٩.

وإعجازه، فهل هذا من مقاصد القرآن الكريم؟! ولم يتحدثوا -كذلك- عن السكر الفكري الذي كان من نتائجه استقدام الاستبداد الصليبي ليعبث بمقدرات الأمة وقيمها ومبادئها قديماً وحديثاً، وعليه ، فإنني أدّعي أنّ مقاصد القرآن أعم وأشمل من مقاصد الشريعة ، ومع ذلك لم تحظ بما يماثل مقاصد الشريعة من عناية ودراسة واهتمام.

إنه حين غاب العمل التفسيري عن إبراز مقاصد القرآن الكريم أوغل في قضايا شكلت حاجزاً أمام هداية الله للناس في هذا الوحي، فما الذي جناه العقل المسلم فيما يرجع على الناس من هداية بإثارته تلك المعارك؟ أم ما الذي جناه من حشوه كتب التفسير بالأساطير والخرافات الإسرائيلية؟ وما الذي جناه من تلك الإشارات الصوفية في التفسير، لقد غرق العمل التفسيري في تفصيل قضايا لا حصر لها، وهذا بحدّ ذاته مظهر ضعف فيه، إذ بعدم سيره مع مقاصد القرآن التي تشكل أسساً قويّة للهداية القرآنية تشتت هذا العمل الذي ينبئ عن فكر ينبغي أن يكون منضبطاً من حيث منهجية التعامل مع النص القرآن، ليكون محققاً ومتحققاً بتلك المقاصد التي تنزّل من أجلها وحي الله جل جلاله.

**أقول :**

إن بيان مقاصد القرآن والأهداف العامة منه ضرورة لازمة، وعمل أساس وقاعدة مهمة لتفسير القرآن الكريم ، والأثر المترتب على ذلك: أن مفسر القرآن بدل أن يشغل قارئه بعلوم الآلة ، يفتح له مجال تحقيق العبودية لله في أوسع ميادينها، ويأخذ بيده إلى إقامة العمران الإسلامي على منهاج القرآن الكريم.

**ولنعرض - بإيجاز مقصود - هذه الدراسة في مبحثين وخاتمة:**

(المبحث الأول) آراء العلماء في مقاصد القرآن الكريم مرتبة ترتيباً تاريخياً غير قاصد الاستقصاء أو التأصيل التاريخي، لتبين -أولاً- طبيعة هذه المقاصد وحجمها في القرآن والأسباب الكامنة وراء تحديدها، ولتتبين -ثانياً- موقع المقاصد التي ذكرها النورسي مقارنة بما ذكره غيره من العلماء.

(المبحث الثاني) مقاصد القرآن في فكر النورسي. وستنهج هذه الدراسة طريق الاستقراء في كليات رسائل النور تبياناً لموقع المقاصد في فكر النورسي مقارنة بآراء العلماء ، وما يترتب على معرفة هذه المقاصد وإدراكها.

أما (الخاتمة) فتشتمل على أهم النتائج.

# المبحث الأول

## آراء العلماء في مقاصد القرآن الكريم

### ١ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي(ت: ٥٠٥هـ):

ذهب الإمام أبو هامد الغزالي في كتابيه: «إحياء علوم الدين» و«جواهر القرآن» إلى أن هدف القرآن الكلي ومقصده الأعظم هو بيان معرفة الله تعالى ، وأن كل العلوم تتفرع من هذه المعرفة ، وقد حصر في الفصل الثاني من كتابه «جواهر القرآن» مقاصد القرآن ونفائسه، وذكر أنها ترجع إلى ستة أقسام : ثلاثة منها أصول مهمة، وثلاثة توابع متمّة. فأما مقصده الأقصى فدعوة العباد إلى الجبار الأعلى، وعليه فإن سور القرآن انحصرت في ستة أنواع : ثلاثة أصول ، وهي : تعريف المدعو إليه ، وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه، وتعريف الحال عند الوصول إليه، وأما الثلاثة المتمّة فهي تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله فيهم، وحكاية أحوال الجاحدين وكشف فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمحاجة على الحق، وتعريف عمارة منازل الطريق وكيفية أخذ الزاد، والأهبة والاستعداد.⁽¹⁾

ويفصّل الغزالي هذه المقاصد فيوصلها إلى عشرة أنواع : ذكر الذّات، وذكر الصفات ، وذكر الأفعال، وذكر المعاد ، وذكر الصراط المستقيم ، وذكر أحوال الأولياء، وذكر أحوال الأعداء ، وذكر محاجة الكفار ، وذكر الحدود ، والأحكام⁽²⁾. والمستغرب هنا أن الإمام أباحامد الغزالي لم يذكر «النبوات» صراحة على أنها مقصد من مقاصد القرآن وجعلها تابعة

---

(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: جواهر القرآن(١٩٨١)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص٩، و: إحياء علوم الدين(بلاتاريخ)، دار المعرفة ، بيروت، ج١، ص٢٨٩.

(٢) جواهر القرآن، ص١٧.

أو مندرجة في سلك هذه المقاصد.

ويكشف هذا التقسيم عن تعلّق هذه المقاصد بالإنسان الفرد المكلّف من حيث ما يجب عليه من معرفة الله تعالى، وما يترتب على هذه المعرفة من استقامة في تصوّر ذلك الفرد وسلوكه . ومن ثم فالأصل الأصيل في مقاصد القرآن هو حسن الاعتقاد بالله تعالى، ومعرفة التصور الحق لهذا الوجوب، ويدخل غير ذلك في هذا الأصل تبعاً. إنّ هذه المقاصد قد كشفت عن أهدافها سعياً بالفرد إلى سموه وكماله الإنساني بمعرفته لخالقه عزّ وجل، وهو اتجاه حدّد مقاصد القرآن الكلية على نزعة صوفية إيجابية، وظل أمر عمارة الأرض بهدي الوحي مبهماً في حديث أبي حامد رحمه الله تعالى. «والمشكل -أيضاً- في هذا التصنيف للمقاصد تفضيله ما تضمنه بعض القرآن على بعض، فيرى أن الطبقة السفلى من علم اللباب معرفة قصص القرآن وما يتعلق بالأنبياء وما يتعلق بالجاحدين والأعداء، ويتكلف بهذا العلم القصّاص والوعاظ وبعض المحدّثين ، وهذا علم لا تعمّ إليه الحاجة أقول: ومعلوم أن هذه الطبقة قد شكلت مساحة واسعة من نصوص القرآن فكيف تكون من شغل القصّاص وغيرهم، وكيف لا تعمّ الحاجة إلى أكثر من نصف القرآن! مع أنه ذكر في الإحياء -الذي صنّفه قبل جواهر القرآن- كلاماً عن القصص القرآني مغايراً لهذا الكلام ، وهو عين الصواب، فقال: هذه القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنّة الله في عباده الذين خلوا من قبل، فما في القرآن شيء إلا وهو هدي ونور ، وتعرّف من الله تعالى إلى خلقه ، فتارة يتعرّف إليهم في أفعاله المخوّفة والمرجوّة ، فيتلوا عليهم سنّته في أعدائه، وفي أنبيائه، ولا يعدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة ، وهي: الإرشاد إلى معرفة ذات الله وتقديسه، أو معرفة صفاته وأسمائه ، أو معرفة أفعاله وسنّته في عباده»(١).

---

(١) زياد الدغامين : نظرية الإمام الغزالي في التعامل مع القرآن؛ مجلة المسلم المعاصر، العدد (٨٠/١٩٩٦)، ص: ١٣٠، هامش ٢.

## ٢ - فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت:٦٠٦هـ):

يبدو أن بيان التصوّر الحقّ قد غلب الاعتراف به على أنه المقصد الأساس في القرآن عند كثير من علمائنا -وهو بذلك حقيق- فقد ذهب الإمام فخر الدين الرازي إلى الأمر نفسه، وبيّن أن مدار القرآن على آربعة مسائل: الإلهيات ، والنبوات ، والمعاد، والقضاء والقدر ، وهي مقصود القرآن كله (١). وكثيراً ما يقرر الرازي المسائل الثلاثة الأولى، وأنها مدار القرآن الكريم كله، وينصب لها الأدلة العقلية في مواجهة الخصوم (٢). ويقوم اتجاه الرازي في هذا التحديد لمقاصد القرآن الكلية على خلفية الصراع الفكري القائم بين المذاهب الفكرية الإسلامية - والمعتزلة على وجه الخصوص- من جهة ، وبين هذه المذاهب والتيارات الفلسفية من جهة أخرى، ولما كانت هذه صناعة الرازي في تفسيره فإن تحديده لمقاصد القرآن جاء من هذه الجهة ، وهي وجهة حق فلا أحد ينكر أن هذه مقاصد قرآنية، لكن لا نستطيع القول إنها تشمل كل مقاصد القرآن الكريم.

## ٣ - أبوإسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي(ت: ٧٩٠هـ):

هذه المقاصد القرآنية التي ذكرها الإمام الرازي جعلها الإمام الشاطبي مقاصد لأغلب السور المكية، وذكر أنها مشتملة على ثلاثة مقاصد، هي: الوحدانية، والنبوة، والبعث ، وأن هذه المقاصد ترجع في أصلها إلى معنى واحد ، هو: الدعاء إلى عبادة الله تعالى (٣) . وهذا المقصد الكلي الأصيل يعبّر عن مضمون ما ذكره الإمام الغزالي من قبل، ولم يشأ الشاطبي أن يفصّل فيه القول، وجعل الشاطبي القرآن الكريم - باستثناء أغلب السور المكية -متوجهاً إلى مقاصد الشريعة وأنواعها: الضروريات والحاجيات والتحسينيات ، وقد حظيت هذه المقاصد عند الشاطبي باهتمام

---

(١) فخر الدين محمد بن عمر الرازي: مفاتيح الغيب (١٩٨١)، دار الفكر ، بيروت، ج٢٠، ص٢٢٦.

(٢) المرجع السابق نفسه، ج٢، ص٩٠ ، وانظر : ص٩٥-١٠٠.

(٣) الشاطبي: الموافقات، ج٣، ص٢٨٠.

كبير حتى شكلت في النهاية نظرية علمية محكمة ، واستحقت أن تكون أنموذجاً يحتذى في تطوير فكرة المقاصد، وتوظيفها في خدمة الفقه والتشريع الإسلامي، ولذلك وصف بعضهم الإمام الشاطبي بأنه شيخ علم المقاصد(١) .

## ٤ - أحمد شاه ولي الله الدهلوي( ت:١١٧٦هـ)

ذهب الشيخ أحمد شاه ولي الله الدهلوي إلى أن معاني القرآن المنطوقة لا تخرج عن خمسة، هي : علم الأحكام ، وعلم المخاصمة ، والردّ على الفرق الضالة ، وعلم التذكير بآلاء الله تعالى، وعلم التذكير بأيام الله تعالى، يعني: الوقائع التي أوجدها الله تعالى من جنس تنعيم المطيعين وتعذيب المجرمين، وعلم التذكير بالموت ومابعده من الحشر والنشر.(٢)

هذه المعاني المنطوقة للقرآن تعني الغايات والمقاصد التي يمكن أن تتجلى في هذه العلوم، وما ذكره الشيخ الدهلوي يشتمل على مقاصد الشريعة، وهو المقصود بعلم الأحكام ، ويأتي العلم الخامس ليشمل مقصد البعث والنشور. وترد العلوم الثلاثة الوسطى ضمن الأصول الثلاثة المتمّة التي ذكرها الإمام أبوحامد، وليس في كلام الشيخ الدهلوي -رحمه الله- ما يبيّن أنه قد تجاوز ما ذكره أبوحامد في الشكل أو في المضمون.

## ٥ - الأستاذ الإمام محمد عبده (ت:١٣٢٣هـ):

يرى الأستاذ الإمام محمد عبده أن ما نزل القرآن لأجله أمور: أحدها: التوحيد. وثانيها: وعْد من أخذ به وتبشيره بحسن المثوبة، ووعيد من لم يأخذ به وإنذاره بسوء العقوبة . وثالثها: العبادة التي تحيي القلوب

---

(١) أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي(١٩٩٢)، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض ، ص(٥).

(٢) أحمد شاه ولي الله الدهلوي: الفوز الكبير في أصول التفسير(١٩٨٩)، دار قتيبة ، بيروت. انظر : ص١١-١٣.

بالتوحيد وتثبته في النفوس. ورابعها : بيان سبيل السعادة وكيفية السير فيه الموصل إلى نعم الدنيا والآخرة. وخامسها : قصص من وقف عند حدود الله تعالى، وأخذ بأحكام دينه وأخبار الذين تعدّوا حدوده ونبذوا أحكامه ظهريا؛ لأجل الاعتبار واختيار طريق المحسنين ومعرفة سنن الله في البشر.(١) وهذا كذلك منبثق مما بيّنه أبو حامد من مقاصد للقرآن الكريم، ولكن وإن اتفقا في تحديد مقاصد القرآن الكلية إلا أن الفرق بينهما يتمثل في أسلوب بيان هذه المقاصد وعرضها، وتوظيفها في العمل التفسيري للقرآن الكريم، ولاشك في أن الأستاذ الإمام كان -في مجال التفسير- أشد اهتماماً بما حدده من مقاصد، فكان يفسر القرآن الكريم من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة فإن هذا هو المقصد الأعلى منه ، وما بعده من المباحث تابع له أو وسيلة إلى تحصيله(٢).

### ٦ - محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٥هـ)

أعطى الشيخ محمد رشيد رضا قدراً كبيراً من العناية والاهتمام عندما تحدّث عن مقاصد القرآن ، فقد تضمن كتابه «الوحي المحمدي» بياناً مفصلاً لهذه المقاصد ، فجاء حديثه شاملاً مستوعباً كل ما ذكره العلماء من قبل، وقد جعل مقاصد القرآن في عشرة غايات رئيسة، هي(٣):

الأول - بيان أركان الدين: التوحيد ، والبعث والجزاء ، والعمل الصالح.

الثاني - بيان شؤون النبوة والرسالة ووظائف الرسل.

الثالث - بيان أن الإسلام دين الفطرة السليمة ، والعقل ، والفكر ،

---

(١) محمد عبده، دروس من القرآن(١٩٨٤) دار إحياء العلوم، بيروت، ص٢٦-٢٧.

(٢) انظر: محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم الشيهر بتفسير المنار(بلا تاريخ) دار المعرفة ، بيروت، ج١، ص١٧.

(٣) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي(١٩٧٩)، المكتب الإسلامي ، بيروت، انظر: ص ١٦٨-٣٤٠.

والعلم ، والحكمة ، والفقه ، والبرهان ، والحجة ، والضمير والوجدان، والحرية، والاستقلال.

الرابع - بيان الإصلاح الإنساني الاجتماعي السياسي الوطني بالوحدات الثمان وحدة الأمة ، وحدة الجنس البشري ، وحدة الدين ، وحدة التشريع بالمساواة في العدل ، وحدة الأخوة الروحية والمساواة في التعبد ، وحدة الجنسية السياسية الدولية، وحدة القضاء ، وحدة اللغة.

الخامس - بيان مزايا الإسلام العامة في التكاليف الواجبة والمحظورة.

السادس - بيان حكم الإسلام السياسي الدولي : نوعه وأساسه وأصوله العامة.

السابع - بيان الإصلاح المالي.

الثامن - إصلاح نظام الحرب ودفع مفاسدها وفلسفتها.

التاسع - إعطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية.

العاشر - بيان هداية الإسلام في تحرير الرق. اهـ.

وتتلخص هذه المقاصد في أمرين، الأول : بيان التصور الحق لله الخالق ، والكون الدال على خالقه ، والإنسان المخلوق الخليفة ، وهذا مما سبق العلماء إلى بيانه بصورة إجمالية. والثاني : عمارة الأرض وسياسة الحياة في ميادينها المختلفة بنظام الشرع وهدايته ، وجاء هذا التفصيل في عرض مقاصد القرآن استجابة قوية لمواجهة التحديات التي أثقلت كاهل الأمة في تعاملها مع الحضارات الأخرى، وهذه المقاصد تستجيب لما تطمح الإنسانية إلى تحقيقه في واقع الحياة، وهي جدير بذلك؛ لأنها منتظمة في وحي الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلى نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-، والذي يذكر هنا أن هذا الاهتمام بهذه المقاصد يشي بمحاولة إصلاحية في منهج فهم القرآن الكريم وتفسيره، وقد ظهر تجسيد هذه المقاصد بشيء من الوضوح والاعتدال في تفسير المنار.

### ٧ - محمد الطاهر بن عاشور(ت:١٣٩٣هـ):

هذا الذي أورده الشيخ رشيد رضا رأينا الأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، يبيّنه بوضوح قائلاً: إن المقصد الأعلى من القرآن صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية، فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد ؛ لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصة ، وهي العبادات الظاهرة كالصلاة، والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر، وأما الصلاح الجماعي فيحصل أولاً من الصلاح الفردي إذ الأفراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه ، ومن شيء زائد على ذلك ، وهو ضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات ومواثبة القوى النفسانية، وهذا هو علم المعاملات ، ويعبر عنه الحكماء بالسياسة المدنية.

وأما الصلاح العمراني فهو أوسع من ذلك، إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع، ورعي المصالح الكلية الإسلامية ، وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها، ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع.⁽١⁾ ويقسم ابن عاشور هذا المقصد الكلي بعد الاستقراء إلى ثمانية أمور:

الأول : إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح.

الثاني: تهذيب الأخلاق.

الثالث : التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة

الرابع : سياسة الأمة ، وهو باب عظيم في القرآن، القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها.

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (١٩٨٤) الدار التونسية للنشر، تونس. انظر: ج١، ص:٣٨.

الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم ، وللتحذير من مساويهم.

السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين ، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها، وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار ، وكان ذلك مبلغ علم مخالطي العرب من أهل الكتاب، وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة ميزان العقول وصحة الاستدلال في أفانين مجادلاته للضالين ، وفي دعوته إلى النظر.

السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير ، وهذا يجمع آيات الوعد والوعيد ، كذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين ، وهذا باب الترغيب والترهيب.

الثامن : الإعجاز بالقرآن ليكون آية صدق الرسول -صلى الله عليه وسلم- إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي(١).

وهذا تنظير محكم ومنضبط لمقاصد القرآن الكلية، وينم عن حس بالمسؤولية إزاء ما توجه الأمة من أزمات وتحديات ، وفيه نفخة من أثر كلام أبي حامد الغزالي، وقبس من شعاع مدرسة الأستاذ الإمام. لقد جاء ذكر ابن عاشور للصلاح العمراني تعبيراً بليغاً عن غاية تنزيل القرآن ؛ لتكون الصلة محكمة بين النص وبين الواقع الذي يتنزل فيه النص، أعني: الواقع النفسي والاجتماعي والمعرفي، أو الواقع البيئي الذي هو مختبر حركة الإنسان ونشاطه الشامل في كل المجالات . أقول : إن المهم هنا هو التوظيف الذكي لهذه المقاصد؛ لتظهر بجلاء في العمل التفسيري للقرآن الكريم؛ لإعادة تشكيل العقل المسلم، وتحديد أولوياته والمهام التي ينبغي له أن ينجزها قياماً بواجب الاستخلاف، وتحقيقاً لمقتضيات العبودية لله ، وإصلاحاً للعمران الإنساني، وبناء للمدينة الحديثة على أسس فاضلة.

---

(١) المرجع السابق نفسه. انظر: ج١، ص٤٠-٤١.

## ٨ - أبو الأعلى المودودي(ت ١٤٠٠هـ):

يرى المودودي -رحمه الله- أن جماع دعوة القرآن هو أن الله تعالى هو الإله الواحد الأحد، والرب الفرد الصمد، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه، ولا يشاركه في ألوهيته ولا في ربوبيته أحد.(١) وأن القارئ للقرآن المتتبع لآياته يحسّ أن ما نزل به القرآن الكريم لا يدور إلا على هذه المصطلحات الأربعة: الإله ، الرب ، العبادة ، الدين، ولابدّ لمن يدرس القرآن أن يتفهم معانيه الصحيحة بمعرفة هذه المصطلحات التي تمثل مقاصد القرآن(٢) ، وهو حديث يتوجّه إلى بناء التصور الاعتقادي الحق لهذه المصطلحات المنتشرة في آيات القرآن الكريم ، وإصلاح التصور أمر توجّه إليه العلماء من قبل ومقصد الدين والعبادة يشملان كل ما تحدث عنه العلماء من مقاصد الشريعة.

## ٩ - محمد الغزالي (ت ١٤١٦هـ):

القرآن الكريم مع استفاضة معانيه، وكثرة سوره، يمكن القول بأنه يدور على محاور خمسة كما يقول الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- هذه المحاور هي أهداف عامة كلية للقرآن الكريم، وهي : الله الواحد. الكون الدال على خالقه ، القصص القرآني، المعاد والحساب. التربية والتشريع(٣). وهي محاور عبّرت عن مقاصد القرآن وما تضمنه من موضوعات ، ولا يتوقف وصف مضمون القرآن على هذا الحد، بل مجال إعادة صياغة هذه المحاور وارد بكل يسر ، وقد بين الشيخ أن القصور عن إدراك محاور القرآن كمحور القصص القرآني أدى إلى تخلف في العلوم الإنسانية لدى المسلمين اليوم. وقد أضاف محوراً آخر سمّاه محور الفطرة

---

(١) أبو الأعلى المودودي؛ المصطلحات الأربعة في القرآن، تعريب محمد كاظم سباق (١٩٨١) ، دار القلم، الكويت. انظر ص: ٥.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص: ٧.

(٣) محمد الغزالي : المحاور الخمسة في القرآن (١٩٩١) ، دار القلم ، دمشق. انظر الصفحات: ١٧، ٥٣ ، ٨٦ ، ١٤١ ، ١٨١.

الإنسانية الذي يمكن أن ينشأ بناء عليه علم فلسفة إسلامي"(١).

## ١٠- يوسف القرضاوي:

عرض العلامة يوسف القرضاوي لمقاصد القرآن الكريم في كتابه «كيف نتعامل مع القرآن الكريم » وجعلها في سبعة، بناء على تقريرها في القرآن، وتأكيده عليها، وهذه المقاصد هي(٢):

الأول - تصحيح العقائد والتصورات للألوهية والرسالة والجزاء

الثاني - تقرير كرامة الإنسان وحقوقه.

الثالث - توجيه البشر إلى حسن عبادة الله تعالى وتقواه.

الرابع - الدعوة إلى تزكية النفس البشرية.

الخامس - تكوين الأسرة الصالحة، وإنصاف المرأة.

السادس - بناء الأمة الشهيدة على البشرية.

السابع - الدعوة إلى عالم إنساني متعاون.

ويلاحظ أن هذه المقاصد تنظر إلى الإنسان في دوائر مختلفة : الإنسان الفرد والأسرة ، والأمة والبشرية ، فمن حيث كونه فرداً يهيئ له القرآن التصور الحق للوجود ويبين له أسس الاعتقاد الحق ، وأنه مخلوق مكرم ، وأطلق له العنان في تزكية نفسه؛ لينطلق الإنسان الفرد من ذلك إلى بناء الأسرة الراشدة ، وإنشاء أمة الشهادة ، وبيان الطريق الحق لهداية البشرية ، وتأصيل مبدأ التعاون بين أممها وشعوبها، وهذه نظرة موضوعية وشاملة إلى مقاصد القرآن خاصة وأن موضوعها الرئيس هو الإنسان الفرد والإنسان الجماعة.

---

(١) محمد الغزالي: كيف نتعامل مع القرآن (١٩٩٢) المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة ، ص ٨٥ -٨٨.

(٢) يوسف القرضاوي: كيف نتعامل مع القرآن الكريم(١٩٩٦) مركز بحوث السنة والسيرة، جامعة قطر، ص: ٦٥.

# المبحث الثاني

## مقاصد القرآن في فكر النورسي

**تمهيد :**

لعل بديع الزمان النورسي هو أكثر المفكرين المسلمين المعاصرين الذين بذلوا جهداً مميزاً في حديثهم عن مقاصد القرآن الكريم، وجاء هذا الحديث مفصلاً ومؤكداً ما قرره العلماء السابقون ، أمثال: أبي حامد الغزالي ، وفخر الدين الرازي ، وأبي إسحق الشاطبي، ومع ذلك فقد بيّن قضايا لم يسبق إليها في مجال المقاصد القرآنية سنبيّنها في هذا المبحث.

لقد تحدّث النورسي عن مقاصد القرآن، فبيّن أبعادها الشمولية وطبيعتها، والأساس المترتب علي معرفتها من حيث قيمة هذه المعرفة في منهج فهم القرآن ، وأثرها في إعجازه، ثم تحدّث عن مقاصد القرآن في أربعة مستويات ، سنعرضها في المطالب الآتية:

المطلب الأول : المقصد الكلي.
المطلب الثاني : المقاصد الرئيسة الأربعة للقرآن الكريم.
المطلب الثالث : مقاصد السور القرآنية.
المطلب الرابع : مقاصد الآيات القرآنية.

ثم ذهب بعد ذلك يتحدث عن مقاصد في قضايا شتى، كلها تؤدي إلى مقاصد القرآن الجامعة، وتزيد من تفصيلها ، ومن المفيد أن نبين ابتداء أن معظم حديث النورسي كان متوجهاً إلى مقاصد القرآن الأساسية الأربعة: التوحيد ، والنبوة ، والمعاد، والعدالة ، ويحسن بنا أن نذكر أموراً قبل عرض هذه المطالب.

## أولاً : شمول المقاصد القرآنية وطبيعتها

إذا نظرنا في التعريف المفصل للقرآن الكريم عند النورسي نجد أنه اشتمل على بيان مقاصد القرآن كلها من توحيد وحشر ونبوة وعدالة. وهذا التعريف الشامل لكتاب الوحي ارتكز على قاعدة أساس تتمثل في أن القرآن تفسير لكتاب العالم ، أو كتاب الوجود والكون ، وإن خاصية الشمول كانت أبرز خصائصه المقاصدية، ويولي النورسي مقصد العدالة أهمية كبيرة من حيث كون القرآن ممثلاً ومحققاً للحكمة الحقيقية لنوع الجنس البشري، ومن حيث كونه المرشد الهادي إلى ما خلق له البشر، وهو كتاب شريعة وحكمة ودعاء وعبودية ، وهو كتاب أمر ودعوة ، وكتاب ذكر وفكر للإنسان والإنسانية ، إن هذا الكتاب -كما يصف النورسي- قد لبّى كل احتياجات الإنسان المعنوية⁽¹⁾.

إن هذه المقاصد الأربعة متسقة في شمولها مع شمول الخطاب القرآني، بل ما جاء القرآن في خطابه إلا لبيان هذه المقاصد، ويرى النورسي أن القرآن قد جمع في خطابه جميع المباحث الكلية التي تخص الإنسان ووظيفته، والكون وخالقه ، والسموات والأرض، والدنيا والآخرة ، والماضي والمستقبل، والأزل والأبد، فضلاً عن ضمّه مباحث أساسية ابتداء من خلق الإنسان من النطفة إلى دخوله القبر، ومن آداب الأكل والنوم إلى مباحث القضاء والقدر، ومن خلق العالم في ستة أيام إلى وظائف هبوب الريح⁽²⁾. ولم يترك القرآن قضية كلية يحتاجها الإنسان إلا وقد بينها ، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء ﴾ (الأنعام/ ٣٨) وقوله: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾(النحل ٨٩)، هذه الأمور الكلية والمبادئ العامة هي موضوع الخطاب القرآني وقضيته المحورية في اتصاله بالوجود الإنساني.

---

(١) انظر: سعيد النورسي؛ الكلمات، ترجمة إحسان الصالحي(١٩٩٢) سوزلر للنشر، اسطنبول، ص٢٦٤.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٤٥٧ - ٤٥٨،

ويحدثنا النورسي عن **الطبيعة المتوازنة في هذه المقاصد**، فيقول: «إن جامعية القرآن الخارقة في مقاصده وغاياته، قد راعت الرعاية التامة وجسدت وأقامت موازنة مطردة مطابقة لدساتير الفطرة وقوانينها، ومتحدة معها في المقاصد والغايات فحافظت على الميزان والتوازن(١)». وهذا بيان في غاية الدقة من حيث أنه يظهر أن القرآن اشتمل على مقاصد جامعة، تعبّر بجلاء عن التناسق الكلي في نظام هذا الوجود من قوانين وسنن تتفق كلها مع فطرة الله التي فطر الناس عليها، هذا التناسق يلتقي مع ذلك النظام في المقاصد، وكما تدل آيات الله القرآنية على وحدانيته سبحانه، كذلك آيات الله الكونية تؤكده وتدل عليه، وتقصد إليه.

### الثاني : الأساس المنهجي المترتب على معرفة هذه المقاصد:

يبني النورسي على معرفة مقاصد القرآن أساساً مهماً في منهج فهم القرآن والتعامل معه، وهو أن ما عدا هذه المقاصد الأربعة كله وسائل لهذه المقاصد، وما ذكر في القرآن من مسائل كونية، أو آيات كشف عنها العلم الحديث، أو حوادث جزئية كل أولئك وسائل جاء ذكرها استطراداً، إنها وسائل موصلة إلى المقاصد الكلية، ولأنها وسائل أوجز القرآن في ذكرها، وأجمل في بيانها، ولأنها وسائل لم يفصل القرآن فيها كثيراً؛ بسبب توجه خطابه إلى عموم الخلق، وليس كلهم يدرك هذه المسائل، يقول النورسي: «ومن القواعد عدم التعمق في تفصيل الوسائل؛ لئلا ينتشر البحث بالاشتغال بما لا يعني، فيفوت المقصد، ولهذا السر أبهم القرآن وأهمل وأجمل في بعض المسائل الكونية .. ثم إن الأكثر المطلق من مخاطبي القرآن عوام ليس بمقدورهم فهم الحقائق الغامضة إلا بوساطة التمثيل، فلهذا أكثر القرآن الكريم منه.(٢)

---

(١) انظر: سعيد النورسي؛ الملاحق، ترجمة إحسان الصالحي(١٩٩٥) سوزلر للنشر، اسطنبول. ص١٨٤.

(٢) سعيد النورسي: المثنوي العربي النوري، تحقيق إحسان الصالحي، (١٩٩٤) سوزلر للنشر، اسطنبول، ص٧٥.

وبدا النورسي حريصاً على لمّ شتات العقل المسلم وتهذيبه ، فقد سبق أن غرق في بيان تفاصيل جزئية انشغل بها عن مقاصد القرآن ، فتجد لمجرد ذكر «السماء» أو «الأرض» يخوض المفسر العلمي في قضايا لا حصر لها ، كذلك المتكلم في قضاياه المتشعبة، وكذلك الصوفي والفقيه والأصولي والفيلسوف . . كل قد غرق في تفاصيل لم تتوجّه إليها مقاصد القرآن اتجاهاً أولياً، في حين أن ذكر هذه المسائل الجزئية أو ذكر الكائنات في القرآن كان يهدف إلى تقرير مقاصد أساسية ينبغي أن يوليها المتفهم للقرآن كل اهتمامه وعنايته. يقول النورسي: «إن كل فرد من أفراد الكائنات يدخل المجلس القرآني فهو مكلف بأربع وظائف ، هي:

- إعلان عظمة الخالق الجليل بانتظامه واتفاقه مع غيره.
- إظهار أن الإسلام هو زبدة العلوم الحقيقية من حيث إن كلا من الأفراد موضوع وخلاصة لعلم من العلوم الحقيقية.
- إثبات تطابق الإسلام مع القوانين والنواميس الإلهية الجارية في العالم.
- توجيه الأفكار إلى حقائق الأشياء، والحث عليها، والتنبيه إليها، من حيث إن كل فرد منها أنموذج لحقيقة من الحقائق»(١).

**الثالث : أثر المقاصد في إعجاز القرآن:**

الربط بين مقاصد القرآن وإعجازه عمل منهجي حرص النورسي على إبرازه لما له من أثر لا يخفى في توجيه الدراسات الإعجازية والمقاصدية، فقد بيّن أن هذه المقاصد مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم ؛ لسعة ما

---

وانظر: سعيد النورسي؛ المكتوبات، ترجمة إحسان الصالحي(١٩٩٢) سوزلر للنشر، اسطنبول ، ص٢٦٨.
وانظر أيضاً: سعيد النورسي؛ صيقل الإسلام، تحقيق وترجمة إحسان الصالحي(١٩٩٥) سوزلر للنشر، اسطنبول، ص٢٩.

(١) صيقل الإسلام، ص ٢٩ - ٣٠

هدف القرآن إلى تحقيقه، ولشموله وجامعيته الخارقة في المقاصد والغايات، ودقته البالغة في رسم وتخطيط تلك المقاصد المنسجمة مع نظام الكون والحياة، والمبيّنة للتصور الحق، فيقول : «إن القرآن المعجز قد بيّن سبيل سعادتي الدارين، ووضح غايات خلق الكون ، وما فيه من المقاصد الربانية، موضحاً ما يحمله ذلك الخطاب الكريم من الإيمان السامي الواسع الذي يضم الحقائق الإسلامية كلها، عارضاً كل ناحية من نواحي هذا الكون الهائل، ومقلباً إياه كمن يقلب خارطة أو ساعة أمامه، معلماً الإنسان صانعه الخالق سبحانه من خلال أطوار الكون وتقلباته، فلا ريب ولابد أنه لا يمكن الإتيان بمثل هذا القرآن أبداً»(١) هذه الإحاطة المطلقة بالمقاصد دليل على كون القرآن الكريم كلام الله المعجز ، لأنه ليس بمقدور العقل البشري الإحاطة ببيان هذه المقاصد ، وبهذا يجعل القرآن العقل في حجمه الطبيعي، ويحدد له مجال البحث والنظر في إطار ما رسم له.

لقد سبق أن بيّنا أن النورسي يجعل الجامعية الخارقة في مقاصد القرآن ذات طبيعة شاملة، ويحدث هنا أن هذه الجامعية ذات مظهر إعجازي عميق بجمعها كل خلاصات العلوم الكونية، وفهارس المعارف الإلهية، والدساتير النافعة للحياة البشرية الشخصية والاجتماعية ، والقوانين السامية لحكمة الكون، **وهو جمع لا يظهر أي أثر من آثار الخلط وعدم الإستقامة في التركيب أو المعنى**(٢).

والوجه الآخر في اعتبار المقصد مظهراً من مظاهر إعجاز القرآن كما بين النورسي أن منابع علو الكلام وقوته وحسنه وجماله أربعة: المتكلم والمخاطب والمقصد والمقام(٣) . فالمقصد يكسب الإعجاز قوة ، بل **المقصد مظهر من مظاهر الإعجاز** ، ولقد بذلت الفلسفة كل قواها العقلية لكي

---

(١) سعيد النورسي: الشفاعات ترجمة إحسان الصالحي(١٩٩٣) سوزلر للنشر ، اسطنبول ، ص ١٧٩، وانظر ص ٢٩٧.

(٢) الكلمات، ص ٤٦٦

(٣) المثنوي، ص ١٥٦.

ترشد الناس إلى السبيل القويم في هذه الحياة ، ولكنها لم تزد الإنسان إلا اضطراباً ، فماذا قدّمت منذ نشأتها إلى اليوم غير بعث الحيرة في أذهان الناس وقلوبهم.

أقول : إن هذه المقاصد القرآنية لا يقتصر ظهورها على مجمل ما في القرآن الكريم ، بل قد يتجلى المقصد في آية واحدة من آياته، ويكمن ذلك - كما يذكر النورسي- في التجاوب بين الآيات ومقاصدها، ومن هنا يبرق الإعجاز ويلمع؛ لأن القرآن نزل في أكثر من عشرين سنة منجماً لمواقع الحاجات نزولاً متفرقاً متقاطعاً متلائماً كأنه نزل دفعة واحدة ، قال: ونزل مهدياً وموصلاً لغايات إرشادية متدرجة متفاوتة مع كمال الاستقامة والنظام والموازنة كأن المقصد واحد، تدور تلك المقاصد والغايات على الأقطاب الأربعة: التوحيد والنبوة والحشر والعدالة ، فبسر امتلائه من التوحيد التام وامتزج، وانتظم واتحد(١).

ولنعرض ما بيّنه النورسي بشيء من التفصيل لتوضيح تصوره لمقاصد القرآن الكريم في مستوياتها المتنوعة:

## المطلب الأول : المقصد الكلي

تحدث النورسي حديثاً مسهياً عن مقاصد القرآن الكريم، وبين أن هناك مقصداً جامعاً تنتهي إليه كل المقاصد وتقوم عليه وتستند إليه، وتستمد منه قوتها وشموليتها، إن هذا الهدف الكلي الأعظم الجامع، والوظيفة الأساس التي جاء القرآن ليؤديها هي **تعليم شؤون دائرة الربوبية**(٢) وليس هناك من شيء وراءه. وهو على حد قول الإمام الغزالي دعوة العباد إلى الجبار الأعلى سبحانه وتعالى« .. وإن ما في القرآن لا يعدو واحداً من هذه الأقسام الثلاثة : الإرشاد إلى معرفة ذات الله وتقديسه،

---

(١) نفسه، ص ٢٢٩ - ٢٣٠

(٢) الكلمات، ص ٢٩٣.

أو معرفة صفاته، وأسمائه، أو معرفة أفعاله وسننه في عباده»(١).

ويعبر النورسي عن هذا المقصد أحياناً بقوله: «إن القرآن بمجموعه قوت وقوة للقلوب»(٢) ، بمعنى أن حياة القلوب لا تكون إلا بمعرفة الله تعالى، وشؤون ربوبيته.

ولما كان هذا الهدف الكلي هو أساس وجود الخلق كان حرياً أن يعرفه كل إنسان مهما كان مستواه العلمي أو تحصيله المعرفي؛ ولذلك يرى النورسي أن المقصود الأهم من القرآن الحكيم هو إرشاد الجمهور الذين يمثلون أكثرية الناس، لأن خواص الناس يمكنهم أن يستفيدوا من مسلك العوام(٣) ، ولا كذلك العكس.

وهكذا يذهب النورسي إلى أن المقصود الاعظم من تنزيل القرآن هو تحقيق الهداية للناس، وذلك بتعريفهم بالله سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله وسننه في الخلق ، وهذا المقصد يشكل الوحدة الإيمانية الشاملة التي يخاطب بها عموم البشر، ويلغي كل ثنائية عجز الفكر البشري عن تجاوزها، فكل كائن وكل أثر وكل حدث وكل . . . ينبغي أن يفهم في ضوء هذا المقصد الجامع . وهذه عملية تأصيل للاعتقاد الذي يقوم عليه تصور المسلم، بل هو لمّ شتات المسلم كله فكراً ووجداناً، وروحاً وسلوكاً، وهو-كذلك- إنقاذ له من التجزيئية في النظرة لهذا الكون وما فيه.

## المطلب الثاني - المقاصد الرئيسة الأربعة للقرآن الكريم

بعد أن قرّر النورسي المقصد الكلي بيّن أن مقاصد القرآن الأساسية أو

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين(١٩٨٦) دار الكتب العلمية، بيروت، ج٤،انظر ، ص٣٦١ - ٣٦٤.

(٢) سعيد النورسي: إشارات الإعجاز ، تحقيق إحسان الصالحي(١٩٩٤) سوزلر للنشر، اسطنبول ، ص٣٩.

(٣) صيقل الإسلام، ص ٥٩.

عناصره الأصلية أربعة، هي: التوحيد والنبوة والحشر والعدالة، ويعبّر أحياناً عن أن هذه المقاصد الأساسية، والعناصر الأصلية منبثة في كل جهة من جهات القرآن⁽¹⁾. هذه المقاصد الأربعة هي تفصيل لبيان التصوّر الصحيح، والعمل المستقيم اللذين أجملا في المقصد الكلي الجامع.

ويظهر من كلام النورسي أنه ليس أول من يقول بهذه المقاصد، ولكنها مقررة لدى العلماء المدققين، قال: من المعلوم أن مقاصد القرآن لدى المدققين أربعة . . .»⁽²⁾ وواضح أنه يقصد أمثال الغزالي والرازي.

ويكشف النورسي عن سر الوصول إلى هذه المقاصد الأربعة، فيبين أن الطريق إلى معرفتها هو طريق الفطرة، فما من إنسان إلا ويطرح على نفسه الأسئلة الفطرية ليعرف من أين المبتدأ؟ وإلى أين المنتهى؟ وماذا يصنع في هذا الوجود؟ ومن سلطان الكون الذي يسير بأمره؟ وينهض الأنبياء للإجابة عن هذه التساؤلات، وينهض محمد -صلى الله عليه وسلم- ليجيب بلسان القرآن، ليفصّل جواب كل واحد منها، فيبين سرّ الوجود وحكمته بقدرة الله تعالى، وبعثة الأنبياء، والأمانة التي يحملون، ومقصد السفر من طريق الحشر إلى السعادة الأبدية⁽³⁾.

ويفهم من كلام النورسي أن القرآن الكريم والنبي الأمين قد فصلا هذه المقاصد الإيمانية تفصيلاً قصدياً بما لا مزيد عليه، وذلك بخلاف الإجمال الوارد في بيان الأنبياء السابقين لهذه المقاصد، وأن حكمتها هو: توسط البرازخ وتفاوت القابليات وتنوع ألوان تجلي الأسماء في المظاهر الكلية والجزئية والظلية والأصلية⁽⁴⁾، ومما يفهم من هذا الكلام أن البيان الأوفى تمثل في القرآن، وفيمن أنزل عليه القرآن، وبيان القرآن بيان

---

(1) انظر: إشارات الإعجاز، ص ٢٣. وانظر: المكتوبات، ص٤٩٢ «هامش» وصيقل الإسلام، ص ٢٩.

(2) صيقل الإسلام، ص ١٢٠

(3) إشارات الإعجاز، ص ٢٤

(4) المثنوي، ص ٤٥١

أصيل لا حاجب يحجبه، ولا حاجز يمنعه ، وذلك كمن ينعم بضياء الشمس ليس دونها سحاب، في حين أن مسلك الفلاسفة ومسلك المتصوفة وهو مسلك الولاية فيه برازخ وحواجز ، فهو كمن ينعم بنور القمر العاكس لضياء الشمس ، ويقصد النورسي بذلك الرد على أصحاب العقل والفلسفة التي تتوهم النور في الأسباب بغفلتها عن مسبب الأسباب.

### ا - التوحيد أو الوحدانية

عرف النورسي بهذا المقصد معتمداً المنطق العقلي والتسليم الفطري الوجداني من خلال النقاط الآتية(١).

- أن كل ذرّة في هذا الوجود تشهد بوجود الله سبحانه ، وهذه دعوة إلى التأمل في صفحات هذا الكون.
- إن معرفة الله نقطة استناد وحيدة للإنسان تجاه تقلبات الحياة ودواماتها وتزاحم المصائب وتوالي النكبات، إذ لو لم يعتقد الإنسان بالخالق الحكيم الذي أمره كله حكمة ونظام، وأسند الأمور كلها إلى المصادفات العمياءوركن إليها، وإلى ما يملكه من قوة هزيلة لا تقاوم شيئاً، فسيتابه الفزع والرعب وينهار من هول ما يحيط به من بلايا. . وهذا ما لا يتفق وكمال روح الإنسان المكرم، إذ يستلزم سقوطه إلى هاوية الذل والمهانة مما ينافي روح النظام المتقن القائم في الكون كله . . نعم! إنه لا ملجأ إلا بمعرفة الله تعالى.
- إن مسلك القرآن الكريم في التعريف بالله سبحانه لا يقارن بمسلك الفلاسفة أو الصوفية أو المتكلمين ، ولا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله وأشمله لبني

---

(١) صيقل الإسلام، انظر : ص ١٢١- ١٣٤ .

الإنسان، ويتمثل هذا الطريق في :

= دليل العناية، وهو رعاية المصالح والحكم في نظام العالم الأكمل، مما يثبت قصد الصانع وحكمته وينفي وهم المصادفة.

= دليل الاختراع، وخلاصته أن الله قد أعطى كل فرد وكل نوع وجوداً خاصاً، هو منشأ آثاره المخصوصة، ومنبع كمالاته اللائقة ، فلا نوع يتسلسل إلى الأزل، لأنه من الممكنات ، فضلاً عن أن حدوث قسم منها مشاهد، وقسم آخر يراه العقل بنظر الحكمة . . . إن الصانع الجليل قد ختم في جبهة كل شيء ختم الحدوث والإمكان ، فالمادة ليست أزلية وتفصيل هذا الدليل في القرآن مسطور.

- إن الطبيعة شريعة إلهية فطرية ، أوقعت نظاماً دقيقاً بين أفعال وعناصر وأعضاء جسد الخليقة المسمّى بعالم الشهادة، هذه الشريعة الفطرية -الطبيعة- مطبعة إلهية، وهي محصلة وخلاصة مجموع القوانين الاعتبارية الجارية في الكون، وعلى الإنسان أن ينظر إلى الآثار الإلهية لا من جهة الممكنات، ولكن من جهة القدرة الثابتة التامة لواجب الوجود بآثارها المحيّرة للألباب. إن صنعة الله في نظام العالم لا يستطيع العقل أن يتصور أدق منها ولا أعجب ولا أغرب، وكما أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، كذلك سطور كتاب العالم يفسر ما وراءه من اتقان وحكمة.

- والله سبحانه وتعالى منفصل عن الخلق، لا كما يدّعي الشاطحون من أهل التصوف والفلسفة القائلين بوحدة الوجود.

- ويستشهد النورسي بدليل التمانع الوارد في قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾(الأنبياء: ٢٢) فالنظام الدقيق المتقن السائد في هذا الكون لهو أقوى دليل على وحدانية الصانع الجليل

سبحانه، وهو سبحانه منزّه عن جميع النقائص؛ لأنها تنشأ من عدم استعداد ماهيات الماديات، وهو تعالى مجرد عن الماديات. اهـ.

## ٢ - النبوة أو الرسالة(١)

يتحدث النورسي عن النبوة، وعن النبي محمد-صلى الله عليه وسلم، بوصفه أصدق شاهد، وأفصح برهان، وأقطع حجة على الصانع الجليل، ويبين أن عدم العبثية في أفعاله سبحانه وحاجة الخلق إلى مرشد، يستلزم قطعاً النبوة في نوع البشر، ويظهر هذا الدليل من جهات ثلاث:

**الأولى**: الإنسان مدرك عجزه وقصوره في صنعته، وزحمة الأوهام عليه وافتقاره في جبلته الإنسانية .. ولما لم يكف ميل الإنسان الطبيعي وسوق إنسانيته، وقصر نظره، واختلاط الأوهام في عقله احتاج البشر إلى مرشد ومعلم، وذلك المرشد هو النبي. كذلك عدم كفاية القانون البشري في تنظيم شؤون الحياة، وإنما بذور ثمرة استعدادات الإنسان يتطلب شريعة إليهة حيّة خالدة مرسلة مع نبيّ مصطفى.

**الثانية**: استعداد الإنسان غير المتناهي، وآماله ورغباته غير المحصورة، وأفكاره وتصوراته غير المحدودة، وقوته الشهوية والغضبية غير المحددة ... وعدم رضاه يوحي بأنه مخلوق للسعادة الأبدية، وما في هذه الدنيا من فوضى واضطراب لا يسع كمالات الإنسانية، بل يحتاج إلى عالم أرحب لا تزاحم فيه، ولا يشبع الإنسان إلا السعادة الأبدية المكنونة في صدف الحشر الجسماني.

**الثالثة**: اعتدال مزاج الإنسان، ولطافة طبعه، وميله إلى الزينة، أي ميله الفطري إلى العيش اللائق بالإنسانية. وهذا لا يتم إلا بتحقيق العدالة بين بني البشر، وعقل كل إنسان لا يكفي في درك العدالة، ومن ثم كانت النبوة في نوع البشر ضرورة مطلقة.

---

(١) المرجع السابق نفسه، انظر: ص ١٣٥-١٥٨.

- إن ما يسمّى بـ«ملكة معرفة الحقوق» و «ملكة رعاية الحقوق» في اجتهاد البشر ، خاصة الملحدين الذين استغنوا بهما عن الشريعة - ما هو إلا مجرد توهم باطل ، نعم! إن نواميس الحكمة لا تستغني عن دساتير الحكومة، كما تحتاج البشرية أشد الحاجة إلى قوانين الشريعة والفضيلة الحاكمة على الوجدان ، لأن الإنسان بقواه وملكاته عاجز عن المحافظة على قوى الحكمة والعفة والشجاعة ، لذا فهو بالضرورة محتاج إلى نبيّ يمسك بميزان العدالة الإلهية النافذة والمؤثرة في الوجدان والطبائع.

- ثم لا يمكن إنكار ظاهرة بعثة ألوف من الأنبياء بمعجزاتهم التي تؤكد وجود النبوة وضرورتها.

ثم يستمر النورسي في عرض براهين نبوة محمد-صلى الله عليه وسلم- العقلية في رسالته «محاكمات عقلية» ويخلص النورسي في النهاية إلى القول في الإجابة على سؤال ياباني وهو ما الدليل الواضح على وجود الإله الذي تدعونا إليه؟ والجواب: إنه محمد -صلى الله عليه وسلم - الذي هو أقوى دليل وأعظم حجة على وجود الله تعالى؛ إذ هو الذي عرّف به تعريفاً واضحاً وضوح الشمس. هذا الاتجاه في الإثبات تكرر ذكره كثيراً على لسان النورسي، ولا أعلم أن هناك من سلكه قبله؛ فالأصل أن القرآن دليل على صحة نبوته، فأن ينقلب ليكون النبي هو الدليل على صحة القرآن بكل حقائقه؛ لعل النورسي -رحمه الله- أراد بذلك أنه لما توفر للنبي أن يكون في ذاته وصفاته وقدرته على التأثير والتغيير، وما توفر له من تصديق المستقبل بكل ما فيه من علوم .. ولما كان ذلك كذلك كان حرياً أن يكون دليلاً على وجود الله تعالى، إذ كيف يبارز العالم وينتصر عليه لولا أن الله معه يؤيده وينصره!!

### ٣ - الحشر الجسماني(١)

---

(١) كتب النورسي رسالة مستقلة في بيان هذا المقصد، هي رسالة الحشر ، وهي الكلمة العاشرة من الكلمات.

أقام النورسي الأدلة والبراهين العقلية -في ضوء بيان القرآن الكريم- على ضرورة البعث والنشور، ويبين إمكانية وقوعه عقلاً، وأن حياة الخلق لا تصلح إلا به، وأوضح برهان على ذلك هو نبي الله محمد -صلى الله عليه وسلم- والحشر الذي يقصد إليه النورسي هو الحشر الجسماني الذي هدف من إبرازه وتأكيده إلى الرد على الفلاسفة وغيرهم.

ويستقي الأدلة العقلية عليه من أن الكائنات لو لم تنجر إلى السعادة الأبدية لصار نظام الكائنات الأكمل صورة زائفة خادعة واهية، لأن الذي جعله نظاماً هو السعادة الأبدية ، ثم إن الحكمة الإلهية التي هي مثال العناية الأزلية تعلن السعادة الأبدية، وتنفي وجود العبثية في هذه الحكمة كذلك مبدأ عدم الإسراف في الفطرة الثابت بشهادة علم منافع الأعضاء، ولا سيما في العالم الأصغر -الإنسان- يدل على عدم الإسراف في الاستعدادات المعنوية للإنسان وآماله وأفكاره وميوله، وهذا يعني أنه مرشح للسعادة الأبدية، ولولا هذه السعادة لتقلصت كل المعنويات ، وإذا كان الاهتمام بالجسد إلى هذا الحد، فكيف تكون العناية بجوهر الروح نفسه، وعليه فهذا الجسد سيعود عبر الحشر إلى الحياة ثانية، كذلك هذا النظام المتقن يدل على السعادة الأبدية ، يشهد لذلك -أيضاً- القيامات النوعية المتكررة الحاصلة في اليوم والليلة ترمز وتشير إلى القيامة الشخصية في الإنسانية بل تشهد لها . ورحمة الرحمن الرحيم تبشر بقدوم السعادة الأبدية، لأنها تصير الرحمة رحمة والنعمة نعمة، وتنجّيها من كونها نقمة وتخلّص الكائنات من نياحات الفراق ، ولو لم تجيء تلك السعادة لتحولت جميع النعم نقماً. ومما يدل على الحشر كذلك شهادة إعجاز القرآن⁽¹⁾.

إن ثلث القرآن تقريباً وأوائل أغلب السور القصار آيات جلية دالة على الحشر ، أي إن القرآن ينبىء عن الحقيقة نفسها بآلاف من آياته الكريمة صراحة وإشارة ، ويثبتها بوضوح وجلاء، وهناك ما يقرب من أربعين

---

(١) نفسه ، انظر : ص ١٥٩ - ١٦١.

سورة افتتحت بالحديث عن الحشر ، أليس إنكاره بعد ذلك محالاً في مائة محال. ويستشهد بكل مظاهر هذا الكون وتقلباته للدلالة على الحشر كفصل الربيع⁽¹⁾.

## ٤ - العدل⁽²⁾

هذا المقصد أشار إليه بعض العلماء مثل: محمد رشيد رضا ، وابن عاشور، وعلال الفاسي. وقد نظر بعضهم إلى العدل على أساس أنه ضابط لتصرفات المكلفين في المعاملات وواجب القيام بالعدل⁽³⁾ ، ولكن النورسي استطاع أن يلمّ بكثير من أطراف هذا المقصد في ميادينه المتعدّدة.

لقد نظر الشيخ محمد رشيد رضا وغيره إلى العدل من زاوية تعلقه بأعمال المكلف مما جاء به التشريع، ومفهومها عند الشيخ رشيد المساواة بين الخاضعين لأحكام الإسلام في الحقوق المدنية والتأديبية بالعدل المطلق بين المؤمن والكافر ، والبرّ والفاجر ، والملك والسوقة ، والغني والفقير ، والقوي والضعيف ⁽⁴⁾ في حين أن النورسي ينظر إلى العدالة على أساس أنها حقيقة من حقائق القرآن ودساتير الإسلام، وهي موغلة في النفس الإنسانية والحياة الاجتماعية، ومرتبطة بأحكام الكون وقوانينه، وهي كذلك واحدة من حقائق الإسلام المقتضية للحشر والحياة الآخرة . وهي سنة إلهية جارية في الكون تدور رحى الموجودات عليها⁽⁵⁾.

وقد أكد النورسي أهمية هذا المقصد حتى أنه نقل عن الإمام الأعظم أبي حنيفة أن الاسم الأعظم لله تعالى هو العدل، الحَكَم⁽⁶⁾.

---

(١) الشعاعات ، انظر : ص٢٣١-٢٣٢ ، ٢٣٥.

(٢) لم يتم النورسي حديثه في المقاصد ، فلم يتحدث في محاكمات عقلية عن العدل، أو العبودية مع العدل التي هي المقصد الرابع من مقاصد القرآن.

(٣) الريسوني : نظرية المقاصد، مرجع سابق. انظر: ص٦-٧.

(٤) الوحي المحمدي، ص ٢٥٩.

(٥) اللمعات، ص ٥٢٥ -٥٢٦.

(٦) الملاحق، ص ٧٤.

والتساؤل حول إضافة مقصد العدالة إلى مقاصد القرآن يختلف من مفكر لآخر، من حيث الوجهة التي قصدها ، والدافع الذي دعاه لأن يسلط الضوء عليه، وقد تجلى هذا الدافع عند الأستاذ المفكر بديع الزمان النورسي؛ فسيادة الظلم في واقع حياة الناس على يد الأنظمة الإلحادية ، وتفشي الفساد والإنحراف الخلقي في أوساط المجتمعات ناتج عن انعدام العدالة التي هي أساس انتظام الكون والحياة، ويبدو أن سيادة الظلم على عهد جون تورك دعاه إلى تسليط الضوء على العدالة ، إن الدولة في نظر النورسي عبارة عن العدالة، والشورى، وحصر القوة في القانون(١)، وكثيراً ما أشار إلى انقلاب الأوضاع واختلال الموازين فقال: لقد وضع الظلم على رأسه قلنسوة العدالة، ولبست الخيانة رداء الحمية، وأطلق على الجهاد اسم البغي، وعلى الأسر اسم الحرية.(٢)

وبين أن المدنية التي دعا إليها الإسلام ودعت إليها الشريعة هي التي ستنكشف بانقشاع هذه المدنية الحاضرة ، إنها مدنية تستند إلى الحق ، والحق من شأنه العدالة والقوة(٣) ، بخلاف ما تزعمه المدنية الحديثة من أن الحق مصدره القوة، ومن شأن هكذا مبدأ أن يؤدي إلى انعدام العدل مادامت القوة هي أداة الهيمنة والتفكير.

ولم يغفل النورسي عن الأثر النفسي المترتب على الشعور بالعدالة والحرية الذي يبعث الحياة في الإنسان ومشاعره وآماله ورغباته وأخلاقه الإسلامية(٤). ويعيد له كرامته المهدورة في ظل تلك الأنظمة، إن تحقيق إنسانية الإنسان وكرامته هو العدالة وهي مقصد قرآني جامع لا يقتصر أثره على نظام الحياة الإنسانية، بل يشمل كل أنظمة الكون والوجود.

ففي واقع الحياة الإنسانية لا تهدر العدالة القرآنية المحضة دم برئ،

---

(١) صيقل الإسلام: انظر: ٤٣٩ ، ٥٢٥، ٥٢٧.

(٢) المكتوبات، ص ٦٠٤.

(٣) صيقل الإسلام، انظر: ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص ٤٦٦.

ولا تزهق حياته حتى لو كان في ذلك حياة البشرية جمعاء ، فكما أن كليهما في نظر القدرة سواء، فهما في نظر العدالة سواء أيضاً، ولكن الذي تمكن فيه الحرص والأنانية يصبح إنساناً يريد القضاء على كل شيء يقف دون تحقيق حرصه حتى تدمير العالم والجنس البشري إن استطاع(١) ، كما هو واضح في أخلاق المدنية المادية الحديثة.

ولا مجال لمقارنة العدالة في نظر النورسي بالقومية والعنصرية؛ لأن الأسس المتبعة فيهما أسس ظالمة لا تتبع العدالة ولا توافق الحق إذ لا تسير تلك الأسس على وفق العدالة؛ لأن الحاكم العنصري يفضل من هم بنو جنسه على غيرهم ، فأنّى له أن يبلغ العدالة(٢).

والصراط المستقيم في نظر النورسي هو العدل الذي هو ملخص الحكمة والعفة والشجاعة اللاتي هي أوساط للمراتب الثلاث للقوى الثلاث: الشهوية البهيمية الجاذبة للمنافع. والغضبية السبعية الدافعة للمضرات. والعقلية الملكية المميزة بين النفع والضر(٣).

ويتحدث النورسي عن العدالة من حيث إنها مكملة للمقاصد الثلاثة أو ناتجة عنها، وأنها أهم أساس للربربية، وأن العدالة الحقيقية تتطلب وجود جهنم وتقتضيه؛ لأن عقاب ظالم هتك حرمات ألف من الأبرياء، هو رحمة بآلاف الأضعاف بالمظلومين من خلال العدالة(٤) ، وإن الله ما خلق الجنة والنار والصراط والميزان إلا لأجل تجليات وتحقق العدالة والحكمة والرحمة التي هي أهم أساس للربوبية(٥).

ويتحدث عن العدالة من حيث اتصالها ببعثة الأنبياء، والنبوة الخاتمة على وجه الخصوص، إن سنن الله الجارية في هذا الكون بالعدالة والحكمة

---

(١) المكتوبات، ص ٦٠٨.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٦٨.

(٣) إشارات الإعجاز، ص ٣٢.

(٤) الشعاعات ، ص ٢٨٧، وانظر المثنوي النوري، ص ٩٠ ،٩١ - ٩٩ ، ١٠٠.

(٥) المرجع السابق نفسه، ص ٢٩٩.

والعناية تشهد بما تقتضيه أفعاله الرحمانية سبحانه كإنزال القرآن المعجز البيان على محمد -صلى الله عليه وسلم(١).

ويرى النورسي أن الحاكم على الدهر وعلى طبائع البشر إلى يوم القيامة هو حقيقة الإسلام التي هي تجلي العدالة الأزلية في عالم الكون والتي هي الإنسانية الكبرى(٢)، فمفهوم العدالة ليس قاصراً على الخضوع لأحكام الشرع بالنسبة إلى المكلفين، ولكنه دستور شامل تشربته حقيقة الإسلام وصبغت به نظام الحياة.

لقد كانت نظرة النورسي إلى هذا المقصد القرآني شاملة ؛ فالأثر البين للعدالة يتجلى في كل عقيدة إيمانية، ويتجلى في كل نظام من أنظمة هذا الكون وقوانينه وسننه، فكل شيء فيه قائم على الحكمة والعدل، فالقدر عدل كله ، وليس فيه ما يخالف العدالة(٣) ، حتى لو كان عذاب القحط(٤) ويرى أن في الصلاة -مثلاً- تأسيساً لإطاعة قانون العدالة الإلهية، وامتثال النظام الرباني، وإدامة تصور عظمة الصانع في القلوب وتوجيه العقول إليها(٥) . وهي عدالة تحقق معاني سامية للوجود الإنساني ، ولذلك فإن الذين يشنون هجوماً على الدين يريدون أن يرجعوا بالبشرية إلى عهود البداوة والجهل متسترين باسم المدنية، وهذا الذي يُفني البشرية وراحتها وعدالتها وسلامتها(٦).

ويبين النورسي أن العدل واحد من تجليات اسم الله الأعظم ، وأن التوازن غالب على كل أنظمة الحياة ، وهذا من مظاهر تجلي اسمه سبحانه «العدل». وما العلوم التي أنتجها الإنسان إلا ترجمة لذلك النظام البديع،

---

(١) نفسه، ص ٦٦٧.

(٢) صيقل الإسلام، ص ٥١

(٣) الملاحق ، ص ٣٦٨.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص ١٦١. وانظر : المثنوي العربي النوري، ص ٤٠٥.

(٥) إشارات الإعجاز، ص ٥٣.

(٦) الملاحق، ص ٣٧٣.

وتعبير عن ذلك التوازن الرائع، والموازنة الرائعة المتجلية في انتظام الكواكب السيارة، مع حركة الأرض السفينة السابحة في الفضاء، وأحوال النباتات وحياتها وأنواعها التي تزيد على الأربعمائة الف، والإنسجام والتناسق الكامل والموازنة الدقيقة الحاصل في جسم كل كائن حيّ . . كل أولئك يدل على أن الله سبحانه هو «العدل القدير الرحيم الحكيم». ولو تأمل الإنس والجنّ في هذا التوازن العام الذي يحكم نظام الوجود، لأدركوا أن أعمالهم توزن بميزان العدل الإلهي يوم الحشر ، وهو توازن يوجب على البشر إقامة العدل⁽¹⁾.

ويرى كذلك أن الجود المطلق والرزق بلا حساب لا ينافي الحكمة والعدالة ⁽²⁾ ، فلله تعالى أن يتفضل على عباده بما يشاء ، كيف يشاء ، متى يشاء ، وهو في ذلك العدل الحكم.

لقد كشف النورسي عوار المدنية الحديثة التي تدّعي زوراً وبهتاناً العدالة، فقال: لقد أظهر الزمان أن دولة تسمى داعية الحرية قد كبّلت بثلاثمائة من موظفيها المستبدين ثلاثمائة مليون من الهنود منذ ثلاثمائة سنة وسيطرت عليهم كأنهم ثلاثمائة رجل لاغير ، حتى لم تتركهم يحركون ساكناً. ونفذت قانونها الجائر عليهم بأقسى صورة من صور الظلم ، آخذة آلاف الأبرياء بجريرة مجرم واحد ، وأعطت لقانونها الجائر هذا اسم العدالة والانضباط، فخدعت العالم ودفعته إلى نار الظلم⁽³⁾ ، ونماذج عدالتها اليوم مازالت قائمة على صورةأشد وأنكى.

إن كل مقاصد القرآن الكريم تدور على هذه الأربعة الأقطاب كما يقول الأستاذ بديع الزمان النورسي⁽⁴⁾.

---

(١) انظر: اللمعات ، ص ٥٢٣-٥٢٧.

(٢) المثنوي العربي النوري، ص ٣٥٦.

(٣) صيقل الإسلام، ص ٣٨٢.

(٤) المثنوي العربي النوري، ص ٢٣٠.

أقول : إن هذا الطرح النوري في مقصد العدالة قد تقدم بعلم مقاصد القرآن إلى أفق بعيد ، خاصة وأنه وظف هذا المقصد في واقع الحياة الإنسانية متحدياً بذلك مسلكيات العدالة المزيفة التي تدّعيها المدنية الحديثة.

## المطلب الثالث : مقاصد السور القرآنية

مقاصد السور موضوع تناوله العلماء منذ أمد بعيد، ونذكر منهم على سبيل المثال: الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره المسمّى «مفاتيح الغيب»، والإمام الشاطبي في «الموافقات»، ولعل أهم من تحدّث عنه بشيء من الوضوح الإمام برهان الدين البقاعي (ت٨٨٥هـ) في كتابه المسمّى «مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور» ، وقد عرض لبيان مقاصد السور في تفسيره القيّم المسمّى «نظم الدرر في تناسب الايات والسور». وكان يبين موضوع السورة الكلي ومقاصدها الرئيس.

ومن المحدثين من أولى موضوع «مقاصد السور» قدراً كبيراً من الاهتمام ، مثل المعلم عبدالحميد الفراهي في كتابه المسمى «دلائل النظام»، وتناوله الأستاذ سيد قطب في كتابه المسمى «في ظلال القرآن» فهو موضوع لم يكن الحديث فيه جديداً بالنسبة إلى الأستاذ النورسي، ولعلنا -مع ذلك- نقف على حجم الإضافة التي أضافها النورسي في مقاصد السور القرآنية.

إن المنهج الذي اتبعه النورسي في دراسة السورة القرآنية، بل والآية القرآنية جدير ببحث مستقل وحده، تُرصد فيه الأسس المنهجية في تفسير القرآن الكريم ، ذلك أن النورسي لم يشتغل بالآية ومفرداتها، والسورة ونظمها، دون الالتفات إلى مقاصدها ، بل ومقصد كل آية في القرآن الكريم.

يقرر النورسي ابتداء أن كل سورة من سور القرآن في حكم قرآن مستقل، ولما كان القرآن خطاباً للجميع، ولا يتسنى لكل أحد في كل

وقت قراءة تمام القرآن الذي هو دواء وشفاء -أدرج الحكيم الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثرسوره، لاسيما الطويلة حتى صارت كل سورة قرآناً صغيراً، فيسهّل السبيل لكل أحد، وينادي مشوّقاً: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾(القمر:١٧)⁽¹⁾ ، وهذا في رأيه من أسباب وحكم التكرار في القرآن.

فالقضية الأولى -إذن- عند النورسي هي عموم الخطاب القرآني لأفراد البشر كافة، وأن خطابه يحمل رسالة شاملة يريد أن يؤديها من أقصر طريق، وأقرب أسلوب إلى قلوب بني الإنسان، ولهذا أجمل القرآن ذكر المقاصد في كل سورة من سوره.

أما القضية الثانية فهي أن أفراد البشر ليسوا على مرتبة واحدة من حسن الفهم والتبصر بمعاني الكلام ، وإدراك أبعاده ومقاصده، ولهذا يقرر النورسي أن كل سورة قد تضمنت مجمل ما في القرآن الكريم من مقاصد: لئلا يحرم من يقرأ سورة فقط عمّا أنزل له في التنزيل، وعمّا أريد منه: **إذ في المكلفين الأميّ أو العيي ، ومن لا يتيسر له إلا قراءة سورة قصيرة فقط**، فمن هذه اللمعة الإعجازية تصير السورة قرآناً تاماً لمن يقرأها»⁽²⁾.

ويؤكد النورسي حيقية أن سورة واحدة قد تتضمن بحر القرآن العظيم الذي ضم الكون بين جوانحه، وإن آية واحدة تضم خزينة تلك السورة ، وإن أكثر الآيات كل منها كسورة صغيرة ، وأكثر السور كل منها كقرآن صغير ⁽³⁾ .. فلكي لا يحرم أحد من القرآن ، فإن كل سورة في حكم قرآن صغير⁽⁴⁾.

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص٧٠.

(٢) نفسه، ص ٢٠٨.

(٣) الأولى أن يكون التعبير في هذه المواطن: قرآن قصير، سورة قصيرة.

(٤) الكلمات، ص ٤٥٩ -٤٦٠.

فهناك -إذن- قضية جوهرية، أو نقطة مركزية تشدّ الإنسان في كل سورة من سور القرآن ، وهي البؤرة المقاصدية التي تجتمع فيها مقاصد القرآن الأربعة ، فتظهر جلياً في السور الطويلة، ويظهر بعضها في قصار السور ، فالقارئ للقرآن -كما يرى النورسي- عليه أن يسلط نظره في هذه البؤرة التي تشدّه إلى الله تعالى، وتشدّه إلى الإيمان بالنبوة، وتشدّه إلى الاعتقاد بالبعث والحشر الجسماني، وتقرر في تصوّره مبدأ العدالة المطلقة التي ينتظم بها سلك الوجود.

وإذا كانت السورة تمثل قرآناً مصغراً عند النورسي، فإن تفسير سور القرآن ينبغي أن يتوجّه إلى تحقيق هذه المقاصد القرآنية، وليسهم في تأصيل التصوّر الصحيح ليكون حاضراً في قلب المؤمن ويقينه ووجدانه وسلوكه ، فيدفعه هذا إلى الاستقامة في القول والعمل ، وبهذا يضع النورسي حدّاً لتشتيت العمل التفسيري، وذهابه مذاهب شتى مبتعداً عن غايات القرآن المقاصدية.

ويمكن الاسدلال على ما ذهب إليه النورسي من خلال حديثة عن مقاصد بعض السور، ففي بحثه عن مقصد سورة النبأ -مثلاً- نجده يقول: «سورة النبأ إذا أنعم فيها النظر **فإنها تصف وتثبت أحوال الآخرة والحشر والجنة وجهنم** بأسلوب بديع يطمئن القلب ويقنعه، حيث تبين أن ما في هذه الدنيا من أفعال إلهية ربانية متوجهة إلى كل من تلك الأحوال الأخروية»(١) . والشاهد هنا أن السورة مسوقة لبيان واحد من مقاصد القرآن الأربعة وهو مقصد الحشر ، وهذه قضية المفسّر الأولى التي يتوجب أن يذهب إليها في تفسيره، وهذه هي القضية الأولى التي يتوجب أن يلتفت إليها القارئ في قراءته.

كذلك حين يبحث في مقصد سورة الإنشقاق ، فيذهب إلى أنها مسوقة لتبين مدى انقياد السموات والأرض وامتثالهما أوامر الله سبحانه،

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص٤٣٢.

فهما على استعداد للإنقياد لأي أمر إلهي[1] . هذا هو غرضها وموضوعها، وبه يظهر مقصد وحدانية الله تعالى الذي له وحده الأمر والنهي. والتصرف في الملك ، وله سبحانه تنقاد الخلائق والعوالم كلها.

إن النورسي بهذا الفهم يؤصّل منطلق النظر في السورة القرآنية ، ومن ثم تفسيرها في ضوء مقاصدها الجامع، وموضوعها الأساس، وقضيتها الجوهرية، وغرضها الرئيس وهذه قاعدة مهمة في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، وبها يضع المفسر عن كاهله حمل التشتت والتشعب في القضايا الجزئية، والمسائل التفصيلية التي تبتعد عن المقصد الأساس للسورة القرآنية، ومن ثم الابتعاد عن مقاصد القرآن الكلية وهداياته الشاملة للإنسان.

## المطلب الرابع : مقاصد الآيات القرآنية

ينظر النورسي إلى الآية القرآنية بوصفها البؤرة الأساسية لمقاصد القرآن أو العدسة اللامة التي تلتقي في بؤرتها كل المقاصد القرآنية، فهي البذرة أو النواة لتلك المقاصد ، ويؤكد حقيقة أن المقاصد القرآنية كلها قد تتبدّى في سورة، بل في آية بقوله: «إن هذه المقاصد الأربعة تتجلى في كل سورة من سوره وآية من آياته»[2] .

وفضلاً عن ذلك ، فإن من أساس البلاغة الذي يبرق به حسن الكلام وتجاوب الهيئات، وتداعي القيود، وتأخذها على المقصد الأصلي، وإمداد كل بقدر الطاقة للمقصد الذي هو كمجمع الأدوية، أو الحوض المتشرب من الجوانب، بأن تكون مصداقاً وتمثالاً لما قيل[3] .

**عبارتنا شتى وحسنك واحد    وكل إلى ذاك الجمال يشير**

---

(١) نفسه، ص ٤٣٣ -٤٣٤ .

(٢) إشارات الإعجاز، ص ٢٤ .

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٤٥ .

بهذه الكيفية يبيّن النورسي ذهاب كل كلمة في الآية إلى مقصدها الأساس الذي سيقت من أجله ، والذي يبرز واحداً من مقاصد القرآن الكبرى تصريحاً، أو إشارة وتلميحاً، وقد عجّت رسائل النور بمثل هذا الخطاب.

«إن مقاصد الآية تتجلى في ذلك التجاوب الرفيع بين الآيات ومقاصدها على الرغم من الأسباب المانعة من هذا التجاوب»(١).

يبين النورسي أن مقاصد القرآن الأربعة تتجلى في كل آية منه ، بل قد تتجلى هذه المقاصد في جملة واحدة من الكلام الإلهي . . . ، وضرب لذلك مثلاً بقوله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ من حيث دلالتها على هذه المقاصد ، فـ«بسم الله» لتعلم العباد بوساطة «قل المقدّرة فيه»، و«قل» الأم في تقدير الأقوال القرآنية ، فعلى هذا يكون في «قل» إشارة إلى الرسالة، وفي «بسم الله» رمز إلى الألوهية، وفي تقديم الباء تلويح إلى التوحيد، وفي «الرحمن» تلميح إلى نظام العدالة والإحسان، وفي «الرحيم» إيماء إلى الحشر.(٢)

وكذلك قوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، ففي «الحمد لله» إشارة إلى الألوهية، وفي لام الاختصاص رمز إلى التوحيد، وفي «رب العالمين» إيماء إلى العدالة والنبوة أيضاً؛ لأن بالرسل تربية نوع البشر، وفي ﴿مالك يوم الدين﴾ تصريح بالحشر(٣).

كذلك يجد المتأمل في قوله تعالى: ﴿ولئن مستهم نفحة من عذاب ربّك﴾(الأنبياء: ٤٦) هذا المقصد الرئيس، فالآية -كما يقول النورسي- مسوقة للتهويل المستفاد من التقليل، والتعبير بـ«المس» بدل الإصابة في قوله : ﴿مسّتهم﴾ يشير إلى القلة والتروّح فقط، والتحقير في جوهر

---

(١) الكلمات ، ص ٤٨١ -٤٨٢.

(٢) إشارات الإعجاز ، ص ٢٤.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٢٣-٢٤.

وصيغة وتنوين «نفحة» يلوّح بالقلة ، والبعضية في قوله: «من» تومئ إليها أيضاً، وتبديل النكال بـ«عذاب» يرمز إليها ، والشفقة المستفادة من الـ«رب» تشير إليها كذلك. وقس !! فكل يمدّ المقصد بجهته الخاصة، وقس على هذه الآية أخواتها(١) ، بمعنى أن كل مفردات الآية وكلماتها تمدّ مقصد التهويل المستفاد من التقليل من زاوية خاصة ، فلكل حرف رسالة بل لكل حركة غاية ، ومقصد الآية الرئيس يجلي أثراً من آثار مقصد وحدانية الله تعالى.

ويتصور النورسي اعتراضاً على هذا الكلام الذي قد يلمح منه شيء من التكلّف في بيان اتجاه مفردات الآية إلى مقصدها الرئيس الذي يتجّه إلى بيان مقصد كلي في القرآن!! أو شيء من التكلّف في بيان أن كل سورة تشتمل على هذه المقاصد الأربعة!!! ويتولى بنفسه الردّ على هذا الظنّ من جهتين:

**الجهة الأولى**: أن هذه المقاصد الأربعة لا تنتشر بدرجة واحدة في كثير من السور ، بل في أكثر السور يكون المقصود بالذات مقصداً واحداً، وتكون بقية المقاصد واردة على سبيل الاستطراد ، أما الأحكام المشيرة إلى المقاصد في الآية الواحدة فهي أحكام ضمنية ، فما في البسملة -مثلاً- أحكام ضمنية، لا صريحة ، ولذلك فهي تحتاج إلى اجتهاد لبيان تلك الأحكام المقاصدية.

**الجهة الثانية** : إذا كان لكل آية أحكام، أو قصدت إلى بيان مقامات، فإنه حريّ بكل مقام، أو حكم أن يكون له مناسبة مخصوصة إلى روح السورة العام ومقصدها الرئيس ، ويكون ذلك الحكم أو المقام دليلاً على ذلك المقصد(٢).

هذه أول وأهم مفارقة بين حديث النورسي عن المقاصد وحديث من

---

(١) نفسه ، ص ٤٥.

(٢) نفسه، ص ٤٠.

سبق من العلماء، فالسابقون قد قرروا هذه المقاصد في ضوء القرآن كله أو سوره المكية ، بينما يرى النورسي أن كل آية مشتملة عليها(١).

والمفارقة الثانية أن النورسي حين فسّر آيات القرآن عمل على إبراز هذه المقاصد وشدّد الكلام إليها، ومن ثم يبقى القارئ المتفهم لكتاب الله مشدوداً إلى قضايا القرآن المحورية ومقاصده الشمولية، لأن القرآن في نظر النورسي ليس كتاب جغرافيا أو كومزجرافيا(الفلك والجغرافية والجيولوجيا)، وليس درس تاريخ الخلقة(٢). وإن ذكر كل أولئك في القرآن برموز وإشارات إن القرآن -في نظر النورسي- كتاب نزل لتدريس معرفة الصانع الجليل سبحانه وتعالى. أما المفسرون الآخرون فقد انشغل كثير منهم وأشغل القارئ معه بكم هائل من المباحث والمسائل التي تتصل بالآيات من قريب أو بعيد، إشباعاً لعقل المسلم بألوان الثقافة المختلفة.

لقد توجّهت رسائل النور التي هي تفسير للقرآن الكريم إلى بيان مقاصد الآيات والنظر إليها من هذه الحيثية ، سيراً مع مقاصد القرآن في فهم القرآن، وهذا أساس منهجي لم يتحقق في كثير من كتب التفسير، ومن الأمثلة التي توضح هذا الأساس ، قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾(يس:٣٨) فقد بين أن المقصد الإلهي في هذه الآية إبراز **النظام والانتظام في هذا الكون** ، وهو ينمّ عن حقيقة هي أن: لا إسراف ولا عبث في الخلقة، والحكمة الأزلية لا تترك الطريق القصير المستقيم، ولا تختار الطريق الطويل المتعسف ، مبيناً أن جريان الشمس قد يكون حقيقة أو مجازاً»(٣)

لقد كان النورسي يبحث عن هذه المقاصد في كل مسألة أو قضية ذكرت في القرآن ، ليبقى دائماً مع النص القرآني في دلالاته وهداياته. ولعل أبرز موضع تعرض له لبيان هذه المقاصد : «فواصل الآيات» ، أو

---

(١) نفسه، ص٢٤.

(٢) نفسه، انظر ص١٧٧-٢٢٥.

(٣) صيقل الإسلام، ص ٩٢ -٩٣

ما أطلق عليه: «فذلكات»، وهي التي تأتي تعقيباً على حادثة جزئية - تشتمل على دساتير كلية، فقد يتوهم قصير نظر أن هذه الفواصل لا مناسبة تربطها مع آياتها ، **ولكن البحث الرصين الواعي يرى فيها مظهراً من مظاهر إعجاز القرآن،** يقول : «إن أغلب السور المطولة والمتوسطة التي كل منها كأنها قرآن على حدة ، لا تكتفي ببيان مقصدين أو ثلاثة من مقاصد القرآن الأربعة: التوحيد أو إثبات الصانع الواحد ، والنبوة أو الرسالة ، والحشر الجسماني، والعدل ، بل القرآن بماهيته، أي كل سورة منه: كتاب ذكر وإيمان وفكر ، كما أنه كتاب شريعة وحكمة وهداية، يتضمن كتباً عدّة ، ويرشد إلى دروس متنوعة ، فتجد أن كل مقام يفتح أمام الإنسان أبواباً للإيمان ولمعرفة الله ومراتب وحدانيته، يحقق بها إقرار مقاصد عديدة، **من حيث إن القرآن يقرأ ما هو مسطور في كتاب الكون الكبير ويبينه بوضوح ، فيرسخ في أعمال المؤمن إحاطة ربوبيته سبحانه بكل شيء ، ويريه تجلياته المهيبة في الآفاق والأنفس؛ لذا فإن ما يبدو ظاهراً من مناسبة ضعيفة يبني عليها مقاصد كلية ، فتلاحق مناسبات وثيقة ، وعلاقات قوية بتلك المناسبة الضعيفة ظاهراً، فيكون الأسلوب الأمثل مطابقاً تماماً لمقتضى ذلك المقام ، فتتعالى مرتبته البلاغية**.»(١)

وفي ضمن هذا السياق يقول النورسي: إن القرآن الكريم قد يذكر بعضاً من المقاصد الجزئية ثم لأجل أن يحوّل تلك الجزئيات إلى قاعدة كلية ويجيل الأذهان فيها **يثبت ذلك المقصد الجزئي ويقرره ويؤكده بالأسماء الحسنى التي هي قاعدة كلية**. مثل قوله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾(المجادلة: ١)، فقوله: **﴿إن الله سميع بصير﴾** يلزم أن يكون ربّاً للكون ، وربّ الكون من شأنه أن يسمع ويبصر..(٢)

---

(١) انظر : الشعاعات، ص ٣١٠ - ٣١١، الكلمات ، ص ٥٣٢ - ٥٣٣ ، ٤٨٣. المثنوي، ص ٣٣٩، ٤٥٨.

(٢) الكلمات ، ص ٤٩٦. المثنوي ، ص ٣٣٩.

هذه المقاصد يبحث عنها النورسي في كل آيات القرآن؛ لتكون مناراً للمفسر يسير معها لتتجلى في عمله التفسيري، وتشدّ المسلم باستمرار إلى المقصد الأسنى في هذه الحياة ، وهو معرفة الله جل جلاله.

كذلك من المواطن التي برز فيها بحثه عن مقاصد القرآن من خلال آياته موطن القصص القرآني؛ فيرى أن إيراد القرآن للقصص كان بهدف أخذ العبرة منها، وينتقي منها النقاط التي هي كالعقد الحياتية التي تناسب مقصداً من مقاصد القرآن ويربطها به ، فالقصة والعبرة تتعانقان في الذهن والأسلوب(١).

---

(١) صيقل الإسلام، ص ٨١.

# الخاتمة

وبعد ، فإن موضوع المقاصد سواء مقاصد القرآن أو مقاصد الشريعة بحاجة إلى مزيد من البحث، لبلورة الأسس المنهجية اللازم على المفسر أو الفقيه اتباعها وهو يتعرض لكتاب الله بالتفسير ، أو وهو يستنبط الأحكام العملية.

**ويمكننا تسجيل بعض النتائج المستخلصة المستفادة مما ذكره العلماء من مقاصد للقرآن، فأقول وبالله التوفيق:**

**أولاً** : إن فكرة البحث في مقاصد القرآن كتأليف أو تنظير لم يلتفت إليها العلماء إلا في عصور متأخرة في ثنايا بحوثهم في الدراسات القرآنية والتفسيرية ويعود السبب في ذلك إلى الاهتمام بمقاصد الشريعة التي تغطي الجانب السلوكي لدى الفرد المسلم من عبادات ومعاملات وعقوبات ، وليس عدم تأليفهم في ذلك جهلاً منهم بها ، ولكنها كانت مستبطنة شعور كل واحد منهم ، مع أن هذه المقاصد مكملة ومتمّمة لمقاصد القرآن الكريم.

**ثانياً** : كان إبراز مقاصد القرآن يتم أحياناً في تجزيئية لا تشمل كل سور القرآن وآياته ، ولم تظهر هذه المقاصد في واقع العمل التفسيري ، ولم تُتخذ قواعد وأسس في منهج فهم القرآن الكريم.

**ثالثاً** : خلاصة هذه النظرات ، اتفاقهم على أن التوحيد مقصد كلي أعظم من مقاصد القرآن الكريم ، وأن البعث والنشور مقصد كلي ثان، والنبوة مقصد كلي ثالث من مقاصد القرآن، ولا يكاد يخالف أحد من العلماء في هذه المقاصد الثلاثة إلا في التعبير وأسلوب البيان ، وهي مقاصد تندرج في مقصد أعظم هو بيان التصور الحق للوجود وخالق الوجود.

**أما فيما يتعلق بفكر النورسي في موضوع مقاصد القرآن فيمكنني أن أسجل النتائج الآتية:**

أولاً - النتيجة الأساس التي توصلت إليها الدراسة بعد هذا التجوال في رسائل النور هي أن مقاصد القرآن مثلت في فكر النورسي نقطة المركز التي يدور في فلكها كل قضية أو قصة أو حادثة أو سؤال . . مذكور في كتاب الله عز وجل ، وقد شكلت هذه المقاصد الأساس الذي ينطلق منه الباحث أو المفسر أو كل صاحب نظر في القرآن الكريم لقد أولى مقاصد القرآن رعاية بالغة فاقت جهود كثير من المفسرين.

ثانياً - أكد النورسي ما قرره العلماء من قبل في المقاصد الكلية: التوحيد ، والنبوة ، والبعث ، والعدل ، وهو إلى هذا الحد لم يزد شيئاً، ولكنه -والحق يقال- ترجم عن هذه المقاصد بأسلوب علمي عقلي مقنع ، وبيّن كيفية فهم هذه المقاصد بأسلوب العصر ، وباللغة والمنطق الذي يفهمه أهل العصر، وقد صدق د. محسن عبدالحميد في وصفه النورسي أنه متكلم العصر الحديث ، هذا العرض للمقاصد القرآنية لا يؤسس قط منهج النظر في القرآن ، ولكنه -كذلك- أسلوب محكم في الدعوة إلى القرآن ، بل وفي التعريف بالقرآن ، لقد دخل النورسي عصر التحدّي وقد أعدّ له من البيان القرآني حجة وسلاحاً ، ووظف هذا البيان في دمغ وجه الإلحاد الذميم وكشف عواره ، وبيان فساد المدنية الحديثة الداعية إليه بتزييف العلم.

ثالثاً - هناك حلقة محكمة النسج ، دقيقة السبك والصياغة في فكر النورسي المقاصدي ، وهي اجتماع هذه المقاصد في القرآن ، واجتماعها كذلك في سورة واحدة من سور القرآن، بل واجتماعها في آية واحدة من آياته الكريمة ، فتكون الآية دالة على مقصد قرآني واحد أو أكثر ، إجمالاً أو تفصيلاً، تصريحاً أو تلميحاً، ومن ثم تصبح الآية بؤرة مركزية أو كبؤبؤ العين ، ولله المثل الأعلى ولكتابه ، وهذا لا يدع مجالاً لتشتيت

بيان النص القرآني وتفسيره، وبهذا يبقى كل قارئ للقرآن سائراً مع غاياته وأهدافه ومقاصده ، ومن ثم تترك هذه المقاصد بصماتها وآثارها الواضحة على تفكير الإنسان وسلوكه وقيمه، بل على نظامه المعرفي بأكمله.

رابعاً - لقد بين العلماء وفصّلوا الحديث في مقصد الوحدانية، والنبوة والبعث، أما العدالة فقد أولاها النورسي ما تستحق من البيان، فلم يجعلها قاصرة أو محصورة في مجال التشريع كما ذكر بعض العلماء، بل بين أنها مبدأ كوني يسري كالروح في جسم هذا الكون الواسع، وأنها تتجلى في السياسة والاقتصاد، وفي العبادات والمعاملات، وفي الاعتقاد والسلوك، وينبغي تحقيقها في واقع حياة الإنسان، وإلا فإن النظام الإنساني سينهار، ويكون الإنسان هو الخاسر الوحيد.

* * *

# المراجع

١ - إبراهيم بن موسى أبو إسحق الشاطبي، الموافقات ، تعليق محمد عبدالله دراز (بلا تاريخ)، دار المعرفة ، بيروت.

٢ - أبو الأعلى المودودي، المصطلحات الأربعة في القرآن، تعريب محمد كاظم سباق(١٩٨١) ، دار القلم ، الكويت.

٣ - أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي(١٩٩٢)، نشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض.

٤ - أحمد شاه ولي الله الدهلوي، الفوز الكبير في أصول التفسير (١٩٨٩)، دار قتيبة ، بيروت.

٥ - إسماعيل الحسني، نظرية المقاصد عند ابن عاشور(١٩٩٥)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة.

٦ - زياد الدغامين، نظرية الإمام الغزالي في التعامل مع القرآن الكريم مجلة المسلم المعاصر، العدد ٨٠/ ١٩٩٦م.

٧ - سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان الصالحي(١٩٩٤)، سوزلر للنشر، اسطنبول.

٨ - سعيد النورسي، سيرة ذاتية(١٩٩٨) ترجمة إحسان الصالحي، سوزلر للنشر ، اسطنبول.

٩ - سعيد النورسي ، الشعاعات، ترجمة إحسان الصالحي (١٩٩٣)سوزلر للنشر، اسطنبول.

١٠- سعيد النورسي، صيقل الإسلام، تحقيق إحسان الصالحي(٩٩٥)، سوزلر للنشر ، اسطنبول.

١١- سعيد النورسي، الكلمات، ترجمة إحسان الصالحي(١٩٩٢)سوزلر للنشر، اسطنبول.

١٢- سعيد النورسي، اللمعات ، ترجمة إحسان الصالحي(٩٩٣) سوزلر للنشر ، اسطنبول.

١٣- سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، تحقيق إحسان الصالحي (١٩٨٨) ، مطبعة الزهراء، الموصل.

١٤- سعيد النورسي، المكتوبات ، ترجمة إحسان الصالحي(١٩٩٢) ، دار سوزلر ، اسطنبول.

١٥- سعيد النورسي، الملاحق ، ترجمة إحسان الصالحي (١٩٩٥) سوزلر للنشر ، اسطنبول.

١٦- عز الدين بن عبدالسلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام(١٩٩٠) مؤسسة الريان، بيروت.

١٧- محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار(بلا تاريخ) دار المعرفة ، بيروت.

١٨- محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي(١٩٧٩) المكتب الإسلامي، بيروت.

١٩- محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير (١٩٨٤)، الدار التونسية للنشر، تونس.

٢٠- محمد الطاهر بن عاشور ، مقاصد الشريعة (بلا تاريخ) الدار التونسية للنشر ، تونس.

٢١- محمد عبده، دروس من القرآن(١٩٨٤) دار إحياء العلوم ، بيروت.

٢٢- محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (١٩٨١) دار الفكر ، بيروت.

٢٣- محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم(١٩٩٢) المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة.

٢٤- محمد الغزالي، المحاور الخمسة في القرآن (١٩٩١) ، دار القلم، دمشق.

٢٥- محمد بن محمد، أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (بلا تاريخ) دار المعرفة ، بيروت.
إحياء علوم الدين (١٩٨٦) دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦- محمد بن محمد ، أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن (١٩٨١) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت.

٢٧- يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم(١٩٩٦) مركز بحوث السنة والسيرة ، جامعة قطر.

***